

**الأكاديمية الأوروبية للتراث القبطي**  
**The European Academy for Coptic Heritage**  
**(TEACH)**

## متى أقيم القدّاس اليومي في الصّوم المقدّس الكبير في الكنيسة القبطيّة؟

**سؤال: متى بدأت كنيستنا القبطيّة تمارس القدّاس الإلهي كلّ يوم في الصّوم الكبير خلافاً لقوانين مجمع اللاذقيّة أرقام (٤٩، ٥٠، ٥١)؟**

**الجواب:** لم تستقر القدّاسات اليوميّة في الصّوم الكبير بشكلها الحالي إلاّ بعد مراحل ليتورجيّة طويلة وبطيئة ومعقّدة. وكانت البدايات المبكّرة جدّاً هي عمل اجتماعات غير إفخارستيّة في يومي الأربعاء والجمعة من كلّ أسبوع في فترة الصّوم المقدّس الكبير في بعض الجهات دون بعضها الآخر. ثمّ أضيفت أيام أخرى من الصّوم الكبير إلى هذين اليومين في جهات دون غيرها. ثمّ ظهرت ممارسة خاطئة حين تحوّلت مثل هذه الاجتماعات غير الإفخارستيّة إلى اجتماعات إفخارستية بمرور الوقت. ممّا استوجب من مجمع اللاذقيّة في القرن الرّابع الميلادي وضع القوانين (٤٩، ٥٠، ٥١) لتدارك هذا الأمر.

ولكي تتفادى الكنائس كسر هذه القوانين السّابق ذكرها، ظهر ما صار يُعرف باسم ”قدّاس البروجيازمني - Presanctified - Προηγιασμένη“. وهو مصطلح طقسي بيزنطي يعني ”القدّسات السّابق تقديسها“، حيث يتم إقامة قدّاس قصير على قدّسات (عنصري الذبيحة) سبق تقديسها في قدّاس سابق. وعلى ذلك، فقدّاس البروجيازمني لا تكتمل له عناصر القدّاس الأساسيّة، لاسيّما التّقدّيس والاستدعاء.

ولقد ظهرت هذه الممارسة في الكنيسة شرقاً وغرباً، بدءاً من القرن السّادس الميلادي فصاعداً، وصارت كلّ كنيسة تنسب هذه الخدمة إلى أحد مشاهيرها. أمّا أقدم الشّهادات الوثائقيّة على وجود ليتورجيّة القدّسات السّابق تقديسها، فتعود إلى القرنين السّابع والثامن للميلاد.

وأما بخصوص الكنيسة القبطيّة فليست هناك أيّة دلائل واضحة فيها على ممارسة هذا الطّقس على مدى تاريخها اللّيتورجي<sup>(١)</sup>. إلاّ أنّ عادة حفظ القربان كانت معروفة في الكنيسة القبطيّة حتى القرن الحادي عشر الميلادي<sup>(٢)</sup> - باستثناء فترة من القرن الخامس الميلادي<sup>(٣)</sup> وفترة أخرى مبهمّة حتى منتصف القرن الثّامن الميلادي<sup>(٤)</sup> - وقد أوقف ممارستها البابا خريستوذولوس ال ٦٦ (١٠٤٦-١٠٧٧م) من بطاركة الكنيسة القبطيّة<sup>(٥)</sup>. وهو ما حاول القس مرقس بن القنبر استعادته مرّة أخرى في النّصف الثّاني

١- ربّما يكون ”طقس تعمير الكأس“ المعروف لدينا اليوم، هو الأثر المتبقي لنا من قدّاس القدّسات السّابق تقديسها في الكنيسة القبطيّة، كما كانت تمارس في الكنائس السّريانيّة والبيزنطيّة.

٢- وهو ما نقرأه على سبيل المثال في رسالة أنبا مقاره أسقف منوف العليا في القرن العاشر الميلادي طبقاً لمخطوط رقم (عربي ١٠٠) بالمكتبة الأهلّيّة بباريس.

انظر للمؤلّف، الجزء الأوّل من كتاب البصحة المقدّسة. وأيضاً انظر للمؤلّف: مختصر قوانين أبي صلح بن نانا يكشف غموض التّاريخ اللّيتورجي في العصور الوُسْطى.

٣- وهو ما نجدّه في القانون (٧٨) من قوانين البابا أنناسيوس الثّاني (٤٨٩-٤٩٦م)، وأيضاً القانون (٢١:٥٢:١) من قوانين الرّسل القبطيّة.

٤- القرون من السّادس إلى منتصف الثامن للميلاد أي حتى زمن البابا ثيودوروس (٧٣٠-٧٤٢م)، هي فترة مبهمّة بخصوص هذه الممارسة، ثمّ تتضح بدءاً من زمن البابا خاتيل الأوّل (٧٤٣-٧٦٧م)، وحتى البابا خريستوذولوس ال ٦٦ (١٠٤٦-١٠٧٧م).

٥- مرقس سميكة باشا بمساعدة يسى عبد المسيح أفندي، فهارس المخطوطات القبطيّة والعربيّة الموجودة بالمتحف القبطي والدّار البطريركيّة وأهم كنائس القاهرة والإسكندريّة وأديرة القطر المصري، الجزء الأوّل، القاهرة ١٩٣٩م، ص (٢٩ من المقدّمة).

من القرن الثاني عشر الميلادي<sup>(٦)</sup>. ممَّا يعني أنه حتى بداية الألفية الثانية من الميلاد تقريباً، لم تكن هناك ضرورة لإقامة القدّاس اليومي في الصَّوم المقدَّس الكبير، على الأقل في بعض الجهات من مصر.

لقد ظلَّت قطمارسات الكنيسة القبطية تشهد على تقليد شرقي قديم، وهو إعطاء الأهمية الأولى لُقَدَّاسات السُّبوت والآحاد في الصَّوم المقدَّس الكبير. حيث لا زالت كثيرٌ من مخطوطات القطمارسات القبطية تحوي فصول قراءات سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير فقط. أي أنَّ القطمارس يُسمَّى ”قطمارس سبوت وآحاد الصَّوم المقدَّس الكبير“<sup>(٧)</sup>.

ثمَّ دخلت القُدَّاسات التي أُقيمت في أيام الأسبوع من الصَّوم المقدَّس الكبير تدريجياً على أيام الصَّوم، وليس دُفعة واحدة. ففي البداية كان يوماً الأربعاء والجمعة هما اليومان اللذان أُقيم فيهما القدَّاس الإلهي في الصَّوم المقدَّس الكبير إلى جوار قُدَّاسي السَّبوت والآحد. والجدير بالذكر هنا، أنه بعد دراسة امتدت لسنوات طويلة لقراءات أيام الصَّوم المقدَّس الكبير، اتضح أنَّ واضع فصول قراءات يومي الأربعاء والجمعة من أيام الصَّوم المقدَّس الكبير ذو إلهام روحي فائق، وهو غير من وضع قراءات أيام الأسبوع الأخرى أي أيام الاثنين والثلاثاء والخميس.

ثمَّ كانت المرحلة التالية وهي إقامة الإفخارستيا في ثلاثة أيام الأسبوع من الصَّوم الكبير وهي أيام الاثنين والأربعاء والجمعة. وقد كان لاعتبار التجانس شأنًا كبيراً في إضافة يوم الاثنين من أيام الأسبوع. ثمَّ في مستهل القرن الثامن الميلادي أُضيف قُدَّاس يوم الخميس ضمن الأيام التي يُحتفل فيها بإقامة الإفخارستيا في الصَّوم الكبير في كنيسة روما<sup>(٨)</sup>.

وبحسب التَّاريخ الموجز للرَّهب جيورجوس سيديرينوس<sup>(٩)</sup> *Cedrenus' Historiarum Compendium* عيَّن الإمبراطور قُسطنطين التاسع (١٠٤٢-١٠٥٥م) في سنة ١٠٤٤م ميزانية لإقامة الإفخارستيا في كاتدرائية آيا صوفيا يومياً وليس فقط في أيام السَّبوت والآحد كما كانت العادة<sup>(١٠)</sup>. أي أنَّ الإفخارستيا اليومية عُرفت في معظم كنائس الشَّرْق بدءاً من كنيسة آيا صوفيا بالقُسطنطينية في بداية الألفية الثانية للميلاد.

وقبل أن أثبت احتمال إقامة القُدَّاسات اليومية في الكنيسة القبطية بوضعها الرَّهن مع حلول الألفية الثانية للميلاد، يلزم في البداية أن أُشير إلى طقس هام، وهو أنَّ الصَّوم المقدَّس الكبير في بداياته حين كان ستَّة أسابيع، أي أربعين يوماً شاملاً فيه جُمعة البَصخة، كانت الجُمعة السَّادسة من الصَّوم - وهي الجُمعة العظيمة آنثذ - هي بدء المراحل النَّهائية للمعمودية والتي تكتمل قبل الدُّخول إلى الكنيسة للاشتراك في صلوات عيد القيامة.

ولمَّا امتد زمن الصَّوم المقدَّس الكبير، ليصبح سبعة أسابيع بعد فصل أسبوع البَصخة عن الصَّوم الأربعيني، ثمَّ صار ثمانية أسابيع بعد إضافة أسبوع هرقل (٦١٠-٦٤٠م) في مقدَّمته، وهو الأسبوع الذي لا نسمع عنه شيئاً في مصر إلا في أواخر القرن العاشر الميلادي، في زمن البابا أبرام بن زرعه السَّرَياني (٩٧٥-٩٧٨م)، صارت الجُمعة العظيمة هي الجُمعة الثامنة من الصَّوم الكبير، والجُمعة السَّابقة لها، وهي جُمعة ختام الصَّوم، هي الجُمعة السَّابعة من الصَّوم. والعجيب جدًّا أن صار الأحد السَّادس

٦- أبو المكارم، تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الـ ١٢ بالوجه القبلي، الجزء الثاني، إعداد الأنا صموئيل أسقف شين القناطر وتوابعها، ١٩٩٩م، ص ٢٥  
٧- إن تسمية وترتيب بعض آحاد الصَّوم المقدَّس الكبير لم تكن كما هي اليوم. فالأمر البديهي أن يبدأ الصَّوم الأربعيني بإنجيل قُدَّاس أحد التجربة على الجبل. ولكنَّه صار هو الأحد الثاني من الصَّوم بعد دخول أسبوع هرقل سابقاً على بدء الصَّوم، فوضعت قراءات لهذا الأحد الأوَّل، وهو جزء من العظة على الجبل، والذي لم يكن له اسم محدد إلا في السَّنوات القليلة جدًّا الماضية، حين سمته إحدى الجهات باسم ”أحد الكنوز!!!“. ومن البديهي أن يكون الأحد السَّابع من الصَّوم، هو عن دخول المسيح إلى أورشليم. أمَّا الأربعة آحاد الأخرى من الصَّوم أي من الثالث إلى السَّادس فكانت غير ما نعرفه اليوم، حيث يأتي فصل إنجيل الأحد الثالث كجزء من العظة على الجبل بدل فصل الابن الشَّاطر، ومثل الكرم والكرامين بدل فصل المرأة السَّامرية، وفصل خراب الهيكل ونهاية العالم بدل فصل شفاء المفلوج، وفصل عن أورشليم قاتلة الأنبياء بدل فصل شفاء المولود أعمى. وهو الترتيب القديم الذي عُرف في الكنيسة حتى القرن الثالث عشر الميلادي، أو الذي عُرف في جهة ما من مصر.

8. Anton Baumstark, *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958, p. 193.

٩- كتب الرَّهب جيورجوس سيديرينوس تاريخه الموجز تحت عنوان: Σύντομος ἱστοριῶν. إمَّا في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل الثَّاني عشر للميلاد، ويجوي الفترة منذ بدء الخليقة حتى جلوس الإمبراطور إسحق الأوَّل على العرش سنة ١٠٥٧م.

10. I. Bekker (ed.), *Georgius Cedrenus*, 2 vols. (Bonn 1838-1839) II, 609 = PG 122, 340. Cf. Ioannes Skylitzes, *Synopsis historiarum*, ed. I. Thurn (Berlin-New York, 1973) 477. Cited by Cf. Robert F. Taft, S.J., *The Frequency of the celebration of the Eucharist Throughout History*, in: *Between Memory and Hope*, edited by Maxwell E. Johnson, USA., 2000, p. 83-84.

من الصَّوم وهو أحد المولود أعمى يُسمى في هذه الفترة أي في بدايات الألفية الثانية للميلاد باسم "أحد التناصير" وإنجيل أحد التناصير هو عن المولود أعمى كما ذكرت، وهو أشهر رمز في العهد الجديد لمعمودية الماء والرُّوح. وفصل هذا الإنجيل عُرف بعد القرن الثالث عشر الميلادي لأنَّ ابن كَبْر يذكره. أمَّا يوم الجمعة السَّادسة من الصَّوم والسَّابقة مباشرة للأحد السَّادس من الصَّوم، والتي كان تمارس فيها المعموديَّة بحسب الطَّقْس القديم جدًّا، تركزت فصول القراءات فيها عن المعموديَّة، أمَّا إنجيل القُدَّاس فهو حديث مباشر عن المعموديَّة، بين السيّد المسيح ونيقوديموس<sup>(١١)</sup>.

وهو ما يدعم ما سبق أن ذكرته بأنَّ الفترة الزَّمنيَّة التَّقريبية التي وُضعت فيها القراءات الكنسيَّة لقطمارس الصَّوم المقدَّس الكبير كما نعرفها اليوم، هي بعد القرن العاشر الميلادي، أي مع حلول الألفية الثانية للميلاد، وهي نفس الفترة التي ظهرت فيها "صلوات القنديل العام"، أي سرِّ مسحة المرضى في يوم جُمعة ختام الصَّوم، وهي الجُمعة السَّابعة من الصَّوم الكبير بحسب الطَّقْس الحالي، وهي صلاة على الزيت، كبديل عن الصَّلوات التي تُقال على زيوت المعموديَّة أي الميرون والغاليليون والتي انتقلت إلى الجُمعة السَّابقة لها مباشرة.

واليوم، فإنَّ الكنيسة القبطيَّة هي التَّقليد الشَّرقي الوحيد الذي يُقيم الإفخارستيَّا يوميًّا في فترة الصَّوم الكبير<sup>(١٢)</sup>.  
 وهذا هو العكس تمامًا لما نراه في آسيا الصُّغرى، فالليتورجيا الإفخارستيَّة هي ليتورجيا احتفاليَّة، ولذلك فهي غير مناسبة لزمن التَّوبة<sup>(١٣)</sup>. وهكذا نجد أنَّ إقامة الإفخارستيَّا في أيام الصَّوم الكبير قد فصلت كنيسة روما والإسكندريَّة عن باقي الكنائس الشَّرقيَّة<sup>(١٤)</sup>.

الراهب أنثاسيوس المقاري  
 الجمعة ٢٦ فبراير سنة ٢٠٢١م

١١- يوحنا ١:٣-١٣

١٢- باستثناء الكنيسة المارونيَّة التي تتبع الطَّقْس اللاتيني.

Robert F. Taft, *op. cit.*, p. 85.

13- *Ibid.*, p. 85-86.

14- *Ibid.*, p. 85.